الفصل الثالث
تصنيف الذنوب حسب أصحاب الحقوق
[فى حق الله -فى حق الناس]

١- الذنوب التى فى حق الله:

وهى ما تتعلق بارتكاب معاصٍ فيما بين العبد وربه.

ومن هذه الذنوب ما يتعلق بأداء الفروض وسلامتها والمحافظة عليها وعدم تركها، أو تأخيرها أو إنقاصها أو التثاقل فى أدائها، ويمكن تفصيل بعضها، وخاصة ما يتصل بالصلاة والزكاة والحج.

ومن الذنوب بين العبد وربه ما يتصل بالكذب على الله ورسوله، والتكذيب بالقدر، واليأس والقنوط من رحمة الله، وهو ما سيتم عرضه بعد الفروض.

- الصلاة:

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا، فطلب الله من المؤمنين المحافظة على أدائها فى أوقاتها، وكمال أدائها، والخشوع فيها، واتباع سنة الرسول ﷺ فى أدائها.

وعظم الإسلام من تركها إلى درجة الكفر بالله، وجعلها أول شىء يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وجعل العذاب الشديد لمن يسهو عن صلاته، ويحشر تاركها مع الظلمة يوم القيامة، واعتبر الرسول ﷺ من لا يتمها سارقًا، وأشد الناس سرقة، وجعل من يؤخرها منافقًا.

يقول الله عز وجل فى سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

وجعل الله تعالى إضاعة الصلاة مفتاحًا لاتباع الشهوات، يقول تعالى فى سورة مريم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم].

ويلقون غيًّا؛ أى عذابًا، سببه الغى والضلالة، والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد.

ويقول الله تعالى فى سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].

وهم الذين يؤخرون الصلاة، ولا يحافظون على أوقاتها، فعقابهم الويل والعذاب الشديد.

ولأن الدنيا دار عمل والآخرة دار للجزاء، فإن من لم يسجد ويصلّ فى الدنيا لجهل أو تقصير أو اتباع هوى، أو غيره من الأسباب، فإنه سيأتى يوم القيامة، فيدعى للسجود، فلا يستطيع.

يقول تعالى فى سورة القلم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم].

ومن أحاديث الرسول ﷺ ما يعظم من ترك الصلاة، أو نقصانها، أو عدم المحافظة عليها، أو عدم إتمامها، أو تأخيرها، أو التثاقل فى أدائها، يقول الرسول ﷺ:

«بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»(١).

«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن نقصت فقد خاب وخسر»(٢).

«من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف»(٣).

«أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته»، قيل: وكيف يسرق من صلاته، قال: **«لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها»** [رواه أحمد والحاكم، من حديث أبى قتادة](٤).

---

(١) مسلم فى الإيمان (٨٢/١٣٤).

(٢) أحمد (٢/٢٩٠) وقال الشيخ شاكر (٧٨٨٩): «إسناده صحيح»، وأبو داود فى الصلاة (٨٦٤)، والترمذى فى الصلاة (٤١٣)، وقال: «حسن غريب»، والنسائى فى الصلاة (٤٦٦)، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (١٤٢٥)، وصححه الألبانى.

(٣) أحمد (٢/١٦٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (١/٢٩٥): «رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط، ورجال أحمد ثقات»، وقال الشيخ شاكر (٦٥٧٦): «إسناده صحيح».

(٤) أحمد (٣/٥٦)، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٢٣): «فيه على بن زيد، وهو مختلف فى الاحتجاج به، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وصححه الحاكم فى المستدرك (١/٢٢٩)، ووافقه الذهبى.

«تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان، قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا» (١).

«إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين؛ يعنى العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا» [رواه البخارى ومسلم، من حديث أبى هريرة](٢).

مسائل فى الصلاة:

- جاء وقت الأذان والصلاة وأنا منهمكة فى عمل المطبخ، فى كتابة قصة، فى مكالمة هاتفية طويلة، فى مذاكرة ليلة الامتحان، فى زيارة أقاربى، فى نزهة مع الصديقات والأسرة، نائمة، أشاهد برنامجًا تلفزيونيًا مضلًا، فى درس علمى، فى ... فى ... فى ... إلخ.

أستكمل ما أنا فيه من عمل أو حال أو مقام، أم أسرع إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف؟

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء].

هل إذا جاء ضيف وأنت فى المطبخ هل ستستمرين فى مطبخك؟ هل إذا جاءت مكالمة تلفونية وأنت مشغولة بكتابة القصة هل ستتركينها؟ إذا انقطع خط التلفون أثناء الحديث هل ستخسرين كثيرًا؟ هل تضمنى أن يأتى ما ذاكرتيه ليلة الامتحان غدًا فى ورقة الامتحان؟

- كلما دخلت فى الصلاة كل أمور الدنيا تدور بذهنى، ولا أدرى هل صليت ثلاثًا، أم أربع ركعات؟

خرجت من الذين هم فى صلاتهم خاشعون، وإلا عليك بـ: الله أكبر من كل أمور الدنيا، الدخول فى الصلاة بعد تهدئة المكان شكلًا ومضمونًا، ترك الواجبات بشكل منظم لحين الرجوع إليها بعد الصلاة، والدخول فى الصلاة بالقلب، وجعله بداية الخشوع، ثم تفقه الآيات، وتهدئة النفس، وحسن نطق الكلمات، وإعطاء الآيات حقها من التدبر والتفكير، واستشعار الوقوف أمام الله، وتطهير النفس والبدن والمكان.

- قمنا برحلة وقضينا يومًا كاملًا بدون صلاة، ولكننى أديتها بعد رجوعى إلى المنزل، وأنا منهكة القوى، لا أدرى ما أقول، ولا أدرك كم صليت من الركعات؟

---

(١) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٢/١٩٥).

(٢) البخارى فى الأذان (٦٥٧)، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١/٢٥٢).

تذكرى من خلفوا من بعدهم خلفًا أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، ولكن رحمة الله واسعة، لمن تاب وآمن وعمل صالحًا.

- أعرف مواعيد البرامج التلفزيونية جيدًا، وأعرف مواعيد الحضور والانصراف من العمل، وأعرف مواعيد الحصص الدراسية، ولا أعرف مواعيد الصلاة، بل أؤديها وقت تذكرها؟

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].

- أنا أسرع واحدة تصلى فى البيت، فقراءتى سريعة وحركاتى سريعة، وهو ما يجعلنى أتمها أسرع من أخواتى وأهل بيتى!

تذكرى قول الرسول ﷺ: **«أسوء الناس سرقة الذى يسرق من صلاته»**(١).

- أنا أعرف أن وقت الصلاة ممتد إلى وقت الصلاة التالية لها؛ لذلك فإنى أؤخر الصلاة حتى أصلى أكثر من صلاة بوضوء واحد!

تذكرى قوله ﷺ: **«إن تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان، قام فنقر أربعًا»**(٢).

- أصلى كل الصلوات فى مواعيدها إلا صلاة الفجر؛ لا أستطيع أن أستيقظ فى الميعاد.

قال ﷺ: **«إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين؛ يعنى العشاء والفجر»**(٣).

إن فى الجسم ساعة بيولوجية إذا ضبطها صاحبها ستأتمر بأمره؛ فإذا قلت فى نفسك: سأصحو اليوم لصلاة الفجر الساعة (...) يعنى بعد حوالى (...) ساعة إن شاء الله، فإن ذلك يعينك على الاستيقاظ، مع وجود منبهات صناعية وساعات اتصالية؛ أعنى بها الهاتف المحمول، مع وجود رنات الهاتف بين أصحاب الخير للتذكير بالصلاة، كذلك ينفع النوم بعد صلاة العشاء بوقت قصير فى سهولة الاستيقاظ على صلاة الفجر.

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٩٨.

(٢)، (٣) سبق تخريجهما، ص ١٩٩.

- الزكاة:

يعظم الإسلام من شأن الزكاة - كركن أساسى من أركان الإسلام - وهى كما كتبت على المسلمين، كتبت على أهل الكتاب من قبلهم.

وإذا كانت الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين - فإن الزكاة أمر الله عز وجل بها مقرونة فى معظم الآيات المذكور فيها الصلاة بها.

وعظم الرسول ﷺ من تركها، فكان تاركها من أول الثلاثة الذين يدخلون النار يوم القيامة.

وعظم من شأنها الصحابة، حتى حارب أبو بكر الصديق الممتنعين عن أداء هذه الفريضة؛ فهى حق الله على العباد، وليس للعباد حق فيها، وحددها الشرع بقيم مقررة وصنفها، فجعل زكاة المال وزكاة الزروع وزكاة الحلى وغيرها، والذين لا يؤدونها هم البخلاء فى الدنيا، وحطب النار فى الآخرة.

يقول الله عز وجل فى سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[آل عمران:١٨٠].

وجعل الله لهم الويل والعذاب الشديد، يقول تعالى فى سورة فصلت: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت]، فوصف الذين لا يؤتون الزكاة بالمشركين، ووصف تعالى فى سورة المائدة الذين يؤتونها بالمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة]، وجعل من يؤديها له الأجر والثواب، يقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة].

ووسعهم برحمته، يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾[الأعراف].

وجعل أموال الصدقة تطهيرًا للنفس وتزكية لها، يقول تعالى فى سورة التوبة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وفى سورة فاطر: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:١٨].

وأن الصدق والتقوى للمؤمن لا يأتى إلا بتجمع أصناف البر التى ذكرها الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة].

وكما كتب الله الزكاة على المسلمين كتبها على من قبلهم، فقد كانت فريضة دعا إليها الأنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ، ومنهم إبراهيم وموسى وعيسى، يقول تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء]، وفى سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البيِّنة]، وفى سورة النمل: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النمل].

ويقرن الله عز وجل هذه الفريضة بطاعة الرسول، يقول تعالى فى سورة النور: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور].

وتختلف مفاهيم المنفعة والمكسب بين المؤمن وغير المؤمن وفى الدنيا والآخرة، يقول تعالى فى سورة الروم: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الروم:٣٩].

ويوضح اختلاف المفهوم حديث الرسول ﷺ، قال أبو ذر: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة، فلما رآنى قال: **«هم الأخسرون ورب الكعبة»**، فقلت: ومن هم قال: **«الأكثرون أموالًا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها، حتى يُقضى بين الناس»**[(١)].

(١) البخارى فى الإيمان والنذور (٦٦٣٨)، ومسلم فى الزكاة (٩٩٠/ ٣٠).

وقال ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ، له ذبيبتان يطوقه يوم القيامة، فيأخذ بلهزمتيه (أى بشدقيه)، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك**». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران] (١).

وهذه موعظة من كتاب الكبائر جمعتها بجمل متفرقة:

قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم!

إنما فى غد ثبورهم - ما نفعهم ما جمعوا إذا جاء محذورهم، إذا لقيهم الفقير لقى الأذى، فإن طلب منهم شيئًا طار منهم لهب الغضب كالجذا.

ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوذ ذا.

ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا.

تجارب أم واعية:

- أعدت الأم ثلاثة صناديق، وعلقتها على الحائط كما تعلق النتيجة، وكتبت على واحدٍ صندوق الحج، وكتبت على الثانى صندوق الزكاة، وكتبت على الثالث صندوق فسحة الصيف، فأخبرت أولادها أن هذه الصناديق ستفتح فى نهاية العام الدراسى، وأن على كل فرد أن يضع فى الصندوق الذى يرغب فيه، ولا يخبر أحدًا بما يفعل، والأفضل ألا تعرف شماله ما وضعت يمينه، وفى الميعاد المحدد فتحت الصناديق الثلاثة، فوجدت الأم أن صندوق الزكاة كان أكثر الصناديق مالًا، فحمدت ربها وتأكدت أن درس الزكاة قد أثمر وجاءت بشائره.

- ادخر كل ابن فى المنزل بعض ماله الذى يحصل عليه كعدية فى العيدين، أو كهدية من أحد الأقارب، ولم يستفد من هذا المال، وجاء عليه العام بعد العام، فعلمت الأم أبناءها كيف يعطون حق الله فى هذا المال، وبدأت تأخذ اثنين ونصف على كل مائة جنيه من كل ابن، وأخبرتهم أنهم يجب عليهم استخدام المال فى التجارة حتى لا تأكله الصدقة، فينفعوا أنفسهم، ويعطوا حق الله، وينفعوا غيرهم.

- طبقت الأم بعض المسائل الرياضية التى تحتاج إلى ضرب وقسمة وتوزيع قسمة على أعداد من الناس أثناء تدريسها مادة الرياضيات لأبنائها، فدمجت علم الرياضيات بعلم الفقه، وسهلت على الأبناء تقبل الأفكار والعلوم معًا.

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٠٣).

- اشترك الأبناء فى توزيع حصص الزكاة، ووضعها فى أظرف، وكتابة وإحصاء أصحاب المال، واشترك بعضهم فى توصيل الأمانات، دون تكليفهم عناء التنقل ومشقة السؤال.

- الصوم:

فرض الله الصيام على المسلمين، كما فرضه على الذين من قبلهم من أتباع الأنبياء، والصوم ربع الإيمان؛ بمقتضى قوله ﷺ: **«الصوم نصف الصبر»**(١)، وبمقتضى قوله ﷺ: **«الصبر نصف الإيمان»**(٢).

وجعل الله تعالى كل الفروض والأركان، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام، فقد ميزه بخاصية النسبة إلى الله تعالى قال ﷺ فيما حكاه عن ربه: **«كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم؛ فإنه لى وأنا أجزى به»**(٣).

وقال الله تعالى فى سورة الزمر: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزُّمَر]، وقال ﷺ فى الصائم: **«لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى»**(٤).

ولا يعفى من هذه الفريضة إلا من كان مريضًا أو على سفر، وتعفى منها المرأة الحامل إذا خافت على نفسها أو جنينها، والحائض والنفساء، والطفل الصغير، على أن يتم قضاء هذه الأيام فى وقت الاستطاعة، وإفطار عن كل يوم مسكينًا فى بعض الحالات التى يتعذر فيها القضاء.

وفى حالات أخرى يتطلب من المفطر القضاء والإطعام، وهى أمور فقهية مبينة للمسلم والمسلمة، يقول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة].

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٠).

(٢) فتح البارى للحافظ ابن حجر فى أول كتاب الإيمان وقال: «أثر، وصله الطبرانى بسند صحيح، ولا يثبت رفعه».

(٣) مسلم فى الصيام (١١٥ ١/ ١٦٤).

(٤) البخارى فى الصوم (١٨٩٤).

ولجلال وعظمة هذا الشهر العظيم، أنزل القرآن الكريم فيه، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، فقد أهدى الله رب العالمين للبشر أعظم وأجل هدية؛ هداية لهم إلى يوم الدين.

- الحج:

حج البيت الحرام هو زيارة بيت الله، والقيام بالمناسك، كما علمنا رسول الله ﷺ، وهو فرض على كل مسلم ومسلمة فى حالة توفر الاستطاعة، وهى تشمل الزاد والراحلة؛ وهو ما يعنى القدرة المادية على الإنفاق على تكاليف السفر والإقامة والقيام بالمناسك، وهو حق لله على الناس.

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «ما من أحدٍ لم يحج، ولم يؤد زكاة ماله، إلا سأل الرجعة عند الموت، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، قال: وإن ذلك فى كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون].

وكثير من المسلمات يتساءلن عن الاستطاعة بتساؤلات عدة، فمنهن من تسأل هل تنتظر إلى أن تتزوج أم تحج؟، هل تنتظر الأم إلى إكمال تعليم أولادها أم تحج؟، هل تؤسس بيتها تأسيسًا فاخرًا أم تحج؟ هل تشترى سيارة لقضاء حوائجها أم تحج؟ هل تعالج أمها أو أحد أقاربها أو أخواتها أم تحج؟ هل تؤسس بيتًا مسلمًا أم تحج؟

أذكر هؤلاء بأن العمر لا يضمن لأحد والصحة لا يضمنها أحد، والمال لا يضمن بقاءه أحد، فهل تنتظر الأخت إلى أن يفنى مالها فى الإنفاق على الأمور الدنيوية التى لا تنتهى، أم تنتظر إلى أن تشترى سيارة تضيع منها فى لحظة، أم هل تنتظر إلى أن يتقدم بها العمر، فلا تستطيع المشى والسعى، فتلجأ إلى من يحملها؟

لقد أسرعت الأخوات المؤمنات اللاتى يردن قضاء فروضهن بأداء فريضة الحج، فبعضهن باعت سيارتها، وأخريات استغنين عن بعض الذهب والحلى، وأخريات وفرت من

مصاريفها اليومية غير الضرورية، إلى أن اكتمل مال الزاد والراحلة، فهن لم يقصرن فى حسن النية والعزم الأكيد على أداء الفريضة.

أم اللاتى انتظرن وسوفن الفريضة، فلا يضمن لهن أحد أداءها، ولكن رغم ذلك، فإن إضاعة الأمانات، لابد أن تدركها جيدًا الأخت المؤمنة، التى تحافظ على أماناتها وترعاها.

فمن كان لديها أولاد صغار، لابد أن تطمئن عليهم فى أيدٍ أمينة، ربما تقول البعض: كيف تحج ونترك أطفالها الصغار، ولكن ربما تجد الجواب عند التفكير فى حالة حدوث مرض أو إصابة أو حادثة طريق، فيمكث البعض ممن ابتلاهن الله فى المستشفى أكثر من شهر، فمن يعول ويحافظ على الأولاد فى هذه الفترة .. هل ستخرج إليهم وتجدهم قد مرضوا وضاعوا وفشلوا ... إلخ؛ إنما هم فتنة؟، ويقاس على هذا المثل باقى متاع الدنيا ومتاع الغرور؛ كالمال والوقت والعلم والزواج والوظيفة ... إلخ، فكل هذه الأمور قد تضيع فى لحظة ولا تستطيع المسلمة استرجاعها، وليس لديها إلا الندم على ما فات وعلى ما فرطت فى حق الله.

الكذب على الله – عز وجل – وعلى رسوله ﷺ:

كذب على الله كثيرون، فقاموا بتحريف الكتب السماوية، وحذف وإضافة وتغيير ما يحلو لهم، ولكن الله تعالى قد حفظ القرآن الكريم إلى يوم الدين، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر].

ولكن هناك من يشتغل بوعظ الناس كما تزين له نفسه ويأمره هواه والشيطان؛ حتى يأخذ منفعة دنيوية، ولا يعنيه ما ينتظره يوم القيامة من عذاب وخزى وسواد الوجه، يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزُّمَر].

وقد فسر بعض العلماء الكذب على الله ورسوله بأنه كفر، ولا ريب فى أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال، كفر محض:

قال ﷺ: **«من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»** [رواه البخارى ومسلم][(١)].

وهناك صنف من الناس شغله سن القوانين والتشريعات التى تحرم ما أحل الله، وما أكثرها اليوم، وتحلل ما حرمه الله تحت شعار العولمة والإصلاح والتقدم والرقى والديمقراطية والحرية والحقوق، ربما لم يسنها المسلمون أنفسهم، ولكن الأدهى من ذلك والأمرّ هو طاعة المفسدين فى الأرض، والذين يسعون فى الأرض فسادًا، ونحن لسنا ببعيدين عن هذه القوانين، لقد فرضت علينا - رضينا أم أبينا - وما علينا الآن إلا أن ننكرها ونكذبها، ونتمسك بدين الله، وسنة رسوله ﷺ.

فهل إباحة الحرية الجنسية دون رابط حرية وتقدم وحقوق إنسانية، أم أسر وتخلف وحيوانية.

وهل نزع سلاح الدول الإسلامية، وتركها فى يد اليهود وأعوانهم، وضرب الدول المسلمة، وحبس من يتعلم ثقافة الحرب والسلاح، والدفاع عن الوطن، هل هذا سلام أم استسلام وهوان!

أين ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾؟ أصبح الآن مجرد التفكير فى الآية إرهابًا يجب محاربته من حكام الدول الإسلامية قبل أعدائهم، فالحكام عليهم بشعوبهم، والأعداء عليهم جميعًا.

ولم يكتفِ الحكام والطغاة باستخدام القوة فى تطبيق تشريعات العدو، ولكنهم يرغمون ويستخدمون بعض رجال الدين لترويج أفكار الكفرة والمنافقين والأعداء، فيكذبون على الله مضطرين، أو متعمدين، أو مرتشين.

فبعضهم يحلل فوائد البنوك الربوية، أو مساندة الدول الأجنبية فى إرغام المسلمات بخلع الحجاب تحت حجة باطلة، وهيأن كل دولة حرة فيما تسن من قوانين وتشريعات، ونسوا ما سنته هذه الدول نفسها تحت شار حرية العبادة، وحقوق الإنسان، وحرية التعبير عن المعتقدات الدينية، ولكن عندما تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين أصبحت الحرية قضية، وربما

(١) البخارى فى العلم (١٠٧)، ومسلم فى المقدمة (٣/٣).

وضعوها ضمن قضايا الإرهاب - وحسبنا الله ونعم الوكيل - فى عصر قلب المفاهيم والقيم.

التكذيب بالقدر:

القدر هو الركن السادس للإيمان، وهو أحد أركان العقيدة الإسلامية، سأل جبريل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال ﷺ عن الإيمان: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(١).

والإيمان بالقدر يستوجب الإيمان بكل ما قدره الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وفى سورة يس: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس:٨٣]، وفى سورة البروج: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج:١٦].

فكل شىء عند الله تعالى بمقدار، «لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره» [شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٥٣].

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخوض فى القدر والتعمق فيه، فقد خرج ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر، فقال لهم: **«ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟! بهذا هلك من كان قبلكم»** [أخرجه أحمد](٢).

عن ابن الديلمى قال: أتيت أبى بن كعب، فقلت له: قد وقع فى نفسى شىء من القدر، فحدثنى؛ لعل الله يذهب من قلبى، فقال: **«لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا فى سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار»**(٣).

---

(١) مسلم فى الإيمان (٩، ١٠ / ٥، ٧).

(٢) أحمد (١٧٨/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٦٦٨): «إسناده صحيح».

(٣) ابن ماجه فى المقدمة (٧٧)، وصححه الشيخ الألبانى.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال لابنه عند الموت: يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»** .. يا بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من مات على غير هذا فليس منى»**(١).

وقد قال ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** [رواه الترمذى](٢).

مشكلات عدم الرضا بقضاء الله وقدره:

(الغضب – الحزن – الإحساس بالظلم – عدم الإحساس بالاطمئنان – عدم القدرة على التحمل – كثرة الشكوى لغير الله – القنوط من رحمة الله).

يقول ابن القيم: «إذا شكوت لابن آدم، فإنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم».

يقول الله تعالى فى سورة التغابن: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١].

قصة فنان تجول بين الأديان:

سأل أحد مقدمى البرامج فى قناة فضائية أحد قُدامى الممثلين العرب، والذى ترك التمثيل العربى وهاجر لأمريكا؛ لاحتراف هذه المهنة هناك، وبعد أن مضى به العمر والسنون رجع إلى بلده، فسأله المقدم كنت يهوديًّا، ثم اعتنقت الإسلام، فما هى ديانتك الآن؟

فقال الممثل: نعم، وكانت أمى مسيحية، ولكنها عندما كانت تحتضر كانت تدعو المسيح ومريم، فلم أعتقد بذلك، فلما ماتت بحثت عن الذى سأدعوه لها، فلم أجد غير أنى قلت: يا أمى يا أمى!!

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى (١٣٣).

(٢) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح».

ثم قال – وبئس ما قال: إن الله لابد أن يكون عادلًا فهل نرى فى هذا الكون عدلًا؟! فهناك القتل والدمار والحروب كما تعرف، والله من صفاته العدل، فأين العدل؟!

هذا الفنان الذى يصفق له الجماهير الغفيرة، وصل إلى هذا الحال!!

الإيمان بالقدر لا ينافى الأخذ بالأسباب:

إننا مأمورون بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله عز وجل، فلو ترك الطالب المذاكرة بدعوى أن النجاح بيد الله، لم يكن متوكلًا على الله، ولو ترك السعى لطلب الرزق وترك أولاده فقراء كان آثمًا، مع أن كل شىء بأمر الله، وكذلك الحال فى المرض وغيره.

وقد سئل الرسول ﷺ عن الرقية والأدوية، فقيل: أرأيت رقى نسترقى بها، وتقى نتقى بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئا؟! قال: **«هى من قدر الله»**.

– «الالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة فى المسببات شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص فى العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح فى الشرع» [مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٨، ص ٨ – ٥].

وقد كان الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب، فيحتجم عند المرض، ويأكل العسل للشفاء، ويمشى فى الأسواق ... إلخ.

مسائل فى الإيمان بالقدر:

– تأخرت الحيضة – الدورة الشهرية – عند الفتاة، فتركتها أمها؛ بدعوى أن هذا الأمر قضاء وقدر ولم تعالجها، وعندما تزوجت وجدت تأخرًا فى الحمل؛ لعجز فى التبويض، كان يمكن أن تعالجه الأم الواعية قبل الزواج، فهذا يتنافى مع التوكل والأخذ بالأسباب.

– كان الزوج سيئ الخلق، وقليل الإيمان، وكثير المشاجرة مع أهل البيت، فاعتبرت الزوجة أن هذا قدرها مع هذا الزوج، ولا سبيل للإصلاح، وأن العلاج الوحيد هو الطلاق، فلم تأمره بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، ولم تدفع بالتى هى أحسن، ولم تصبر، ولم ... ولم ... إلخ، فكانت النتيجة هدم البيت وضياع أولادها.

– كانت الأسرة فقيرة، ولا تستطيع تلبية احتياجات الفتاة، التى فضلت مصاحبة الأثرياء، ولم ترض بحالها ومستواها، فخرجت من البيت، وانضمت لجماعة غير صالحة، كل أهدافهم الشهوات، ولا يعرفون حلالًا أو حرامًا؛ ففقدت دينها ودنياها.

– كانت الفتاة تذاكر وتعمل، ولكن تجد زميلاتها يذاكرن أقل منها، ويعملن أقل منها، وفى نهاية العام يحصلن على درجات أعلى فى الامتحان، فأخذت تحسدهن، وتحقد عليهن، وتدعو عليهن، فهى لم تؤمن بأن النتيجة بيد الله، وأن ما عليها إلا العمل والاجتهاد، وأن ما يحسبه الناس خيرًا قد يكون شرًّا، والعكس.

وهى لم تدرك أن هذه النتيجة التى حصلت عليها تعد ابتلاء من الله؛ لتصحيح مسار حياتها، وإعادة تنظيم أمورها، وترتيب أوضاعها، فربما إذا فعلت ذلك بذلت مجهودًا أقل، وحصلت على درجات أكبر.

فتاة نادمة على كل ما تفعل، وعلى كل ما يرزقها الله من نعم، ودائمًا تتحسر: «لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا»، وهذا الأمر يعوق تفكيرها، ويعوق تطورها، ويؤثر على علاقتها بالآخرين.

نسيت أمر ونصيحة الرسول ﷺ لكثيرى اللوم، أن يقولوا: **«قدر الله وما شاء فعل»**.

اليأس والقنوط من رحمة الله:

اليأس: هو انقطاع الأمل، وانتفاء الطمع فيه، والقنوط أشد اليأس.

وقد وصف الله عز وجل الكافرين بأنهم يئسوا من روح الله، ومن رحمته، وتوعدهم بالعذاب الأليم، وغضب الله عليهم فى الدنيا والآخرة.

واليأس من صفات الإنسان غير المؤمن بالله، فهو يتغير من حال إلى حال، تبعًا لما يقع فيه من نعمة أو نقمة، وأمر الله عز وجل بعض رسله ألا يكونوا من القانطين، وأن هذه الصفة لا تكون إلا مع أصحاب الضلال، وأمر الله عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بعدم القنوط؛ لأنه هو الغفور الرحيم.

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

فالطالبة التى لم توفق فى الامتحان إذا يئست من رحمة الله، فستترك العلم ويعوق اليأس استمرارها فى العمل.

والموظفة التى كثيرًا ما يساء معاملتها فى العمل من قبل الحاقدين والظالمين، إذا يئست

من رحمة الله، فربما تركت العمل وانقطع مصدر رزقها، وربما تحولت إلى موظفة سيئة لتجارى البيئة الفاسدة التى تعمل فيها.

والزوجة التى لم يرزقها الله بأطفال من زوجها إذا يئست فستوقف العلاج، وستسوء علاقتها الزوجية، وتنعدم الألفة والمودة، ويزداد القلق على الزوج، والأم التى يئست من رحمة الله فى هداية ابنها أو ابنتها، ستتركه دون توجيه، أو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وستقبل الحال على ما هو عليه، فلا تمنعه من الصحبة السيئة، ولا تنهاه من فعل المنكرات، ولا تأمره بعمل الصالحات.

فاليأس يعطل على المسلم والمسلمة العمل والإنتاج، وإصلاح النفس، وطلب رضاء الله، ويسيء الخلق، ويزيد من التوترات النفسية؛ فهو قتل للإنسان من كل جانب، سواء نفسه أو عقله أو جوارحه.

والأم يجب أن تربى أبناءها على عدم اليأس أو القنوط منذ طفولتهم وطول حياتهم، ولنا فى سيدنا يعقوب أسوة حسنة، يقول تعالى فى سورة يوسف: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف].

وأن تعلمهم أن اليأس من أخلاق الكافرين الضالين الخاسرين لدينهم ودنياهم.

يقول تعالى فى سورة العنكبوت: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣﴾ [العنكبوت].

فاليأس من رحمة الله ليس أمرًا سهلًا، وليس أمرًا مقبولًا عند الله؛ فعاقبته النار وبئس المصير.

وأن تبعد أولادها عن اليائسين من رحمة الله، فهذا الأمر ربما ينتقل إلى الناس كالمرض المعدى الذى يجب الاحتراز منه، يقول تعالى فى سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾ [الممتحنة].

اليأس ليس صفة من صفات المؤمنين، الذين إذا أصابهم خير شكروا الله عز وجل، وإذا أصابتهم ضراء صبروا، فكان خيرًا لهم.

أما الإنسان غير المؤمن، فله صفات أخرى، بينها لنا الله عز وجل فى محكم آياته، يقول تعالى فى سورة فصلت: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ٤٩﴾ [فُصِّلَت] وفى سورة الإسراء: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء].

وفى سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ [هود:٩].

وفى سورة الروم: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم:٣٦].

مسائل فى اليأس والقنوط:

- عندما أبدأ فى عملى ويستعصى علىَّ جزء فيه، فإننى أتركه وألجأ إلى غيره، وعندما لا أستطيع استكماله، فإننى أتركه وألجأ إلى غيره، وهكذا إلى درجة لا أستطيع معها أن أكمل عملًا على الإطلاق.

وأحسست أحيانًا كثيرة بالفشل من اللوم الذى ألقاه كثيرًا ممن حولى من أفراد الأسرة وزميلاتى، حتى أصبت بالاكتئاب، وأصبحت أجلس فى حجرة مظلمة بمفردى، ولا أريد معايشة الناس، وأحسست بالظلم الشديد الواقع علىَّ، يقول تعالى فى سورة الفتح: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

لقد كان العذاب فى الدنيا والآخرة، ولا مخرج من هذا إلا بالرجوع إلى الله وحسن الظن به، والتركيز على عمل فى مقدرتك، ويكون قصير الأجل، ولا يحتاج إلى مراحل طويلة أو معقدة فى البداية، ولا تخبرى به أحدًا إلا بعد إكماله، واتق الله فى العمل، بحيث يؤدى على أكمل وجه، وأفضل ما أداه الآخرون، والخير قادم بإذن الله.

مسألة:

إننى أرى كل من حولى من الفتيات غير ملتزمات، وكل همهن الدنيا وما فيها من: الشهوات والرقص والفسح والأكل فى المحلات واللبس على ذوق الراقصات، وإنى كلما دعوت إحداهن لله ما كان منهن إلا الاستهزاء والإعراض.

والبعض أقنعنى بأن هذا الأمر شخصى، ودع الخلق للخالق، وأن الدنيا اليوم لها ظروفها، وأن العمل لا يقبل الملتزمات والمحتشمات، فكيف سأعيش بين هؤلاء؟، إذا تركتهم وعشت بمفردى أصبحت مريضة، وإذا عايشتهم لم أنج من فسقهن!

اقرئى ما قاله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ

لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران].

انظرى كيف أدى سوء الظن إلى الوقوع فى اليأس والقنوط، فعلينا حسن الظن بالله، والعمل ثم العمل ثم العمل، أما النتائج فبيد الله وله حكمته فى ذلك.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ففى سنة الرسول ﷺ فى التغيير، يأمرنا ﷺ بأنه من رأى منكرًا فليغيره بيده[1] (واليد هنا ليست بالضرب والأذى ولكن بالمنفعة والعطاء والخير والنماء)، فإن لم يستطع الإنسان، فعليه بلسانه (واللسان هنا ليس بالتكبر والفحش والاستهزاء والكذب وغيره، ولكن بالكلمة الطيبة الرقيقة والهادئة التى تؤلف القلوب)، فإن لم يستطع فبقلبه (والقلب هنا لا يأتى إلا بعد استنفاد القوى السابقة المتمثلة فى اليد واللسان)، ولا نيأس من رحمة الله تعالى.

- نجد وسائل الإعلام تحارب الجماعات الإسلامية المعتدلة، وكل من ينتمى إلى جماعة دينية إسلامية، وتشوه صورتهم، وتقنع الناس أنهم قوم ظالمون وضالون وإرهابيون وسارقون، وتصفهم بأرذل الصفات، وتأتى الجهات الحكومية الرسمية، فتمنع وتعيق وتضيق على الملتزمات بدينهن وأوامر الله ورسوله.

وجهات الأمن تعتقل وتصادر أموال الملتزمين والمتدينين بغير وجه حق، وتقتل الكثير منهم ظلمًا، وتعذب الكثير.

لقد أدت هذه الأمور وغيرها إلى إحساس البعض بصعوبة الالتزام بالدين، وأنه عائق فى سبيل العمل والوظيفة المجزية المريحة، وأنه يسبب كثيرًا من المتاعب النفسية والمادية، ففضلوا الخوض مع الخائضين وتجاهل الدين، اقرأى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]. فوعد الله نافذ، وجند الله هم الغالبون، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) مسلم فى الإيمان (٤٩/٧٨).

٢- الذنوب التي بين العبد والناس:

الفرق بين الذنوب التى بين العبد وربه، والتى بين العبد والناس، هو أن الأخيرة لابد لها عند التوبة منها من رد المظالم إلى أصحابها، وعفو صاحب المظلمة عن الظالم على فعلته، وإلا جاء يوم القيامة، فيأخذ من حسناته، وإذا فنيت يطرح عليه من سيئاته، وكثير من هذه الذنوب تم تناولها فى تصنيف الذنوب إلى كبائر وصغائر، وتصنيف الذنوب حسب الجهة المسببة لها؛ لذلك سيتم تناول بعض الذنوب بين العبد والناس، والتى لم تعرض فى التصنيفات الأخرى، ومنها: غش الإمام للرعية، والقاضى السوء، والبغى والخيانة، والغدر وعدم الوفاء، والأذى للجار والمسلمين والعباد.

غش الإمام للرعية وظلمه لهم:

وهل ما فيه العرب والمسلمون الآن إلا من هذه الكبيرة؟!

وهل استطاع الأعداء النيل من المسلمين إلا من هذه الكبيرة؟!

وهل تخلف وفقر وجهل ومرض العرب والمسلمين الآن إلا منها؟!

وهل ضياع أموال المسلمين وثرواتهم وحقوقهم إلا من غش الإمام للرعية.!

إنهم قبل أن يظلموا الناس فقد ظلموا أنفسهم، فلا تحسبن الله غافلًا عما يعملون. فلهم يوم سيعرضون عليه، يوم الخزى والعذاب الأليم، يوم يحرم عليهم الجنة ونعيمها.

يقول الله عز وجل فى سورة الشورى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى].

ويقول تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[إبراهيم].

وأخبر الرسول ﷺ عنهم فى أحاديث كثيرة، وأخبرنا عن عاقبتهم فى الآخرة:

- يقول ﷺ: **«أيما راعٍ غش رعيته فهو فى النار»** [رواه الطبرانى، عن أنس][(١)].

(١) كنز العمال (١٤٦٥٦).

وحمل الرسول ﷺ كل مسئول المسئولية عن رعيته، سواء أكان صغيرًا أو كبيرًا، مالكًا أو مملوكًا، ذكرًا أو أنثى.

- يقول ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** [من حديث ابن عمر][(١)].

ويخبرنا ﷺ بتحريم الجنة على من استرعى رعية ولم ينصحها:

- قال ﷺ: **«من استرعاه الله رعية، ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة»** [أخرجه البخارى][(٢)].

ويحذرنا ﷺ من اتباع الأمراء الظلمة الفسقة ومجاراتهم:

- يقول ﷺ: **«سيكون أمراء فسقة جورة، فمن صدقهم بكذبهم، ومن أعانهم على ظلمهم، فليس منى ولست منه، ولن يرد على الحوض»** [رواه أحمد والترمذى، من حديث كعب بن عجرة][(٣)].

رسالة:

أختاه قد تكونين أنت التى وقع عليها ظلم الحاكم فى نفسك أو فى أخيك أو أبيك أو زوجك، فزج بأحدهم فى السجون ظلمًا، وعذب وأهين، وقد تكونين ممن فقدوا أحباءهم من ظلم الحاكم وأحكامه العرفية التى لا تعرف الحق أبدًا، ولا تعرف شرع الله، ولا يخاف واضعها ومنفذها من يوم الحساب، قد تكونين ممن شاهدوا ما وقع على أخواتهن من ظلم الحكام المفسدين، قد تكونين ممن سمعوا عنه أو قرءوا عنه، ودمعت عيناك، وتفطر قلبك بالبكاء والأسى.

ألا إن نصر الله قريب، ولينصرن الله من ينصره، ألا إن موعد المؤمنين الجنة، وموعد الظالمين الجحيم، فاصبرى واثبتى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

القاضى السوء:

يلجأ الناس إلى المحاكم والقضاة لاسترداد حقوقهم المسلوبة، وحدد هذه الحقوق الله عز وجل وبينتها الشريعة الإسلامية، ولكن كيف يكون الحال إذا حكم القاضى بما لم ينزل الله،

---

(١) البخارى فى الجمعة (٨٩٣).

(٢) البخارى فى الأحكام (٧١٥٠).

(٣) الترمذى فى الفتن (٢٢٥٩)، وقال: «صحيح غريب»، وأحمد (٢/٢٤٣).

أو حكم لصالح الظالم وهو على علم أو حكم لصالح الظالم وهو على جهل، أو حكم بشريعة الكافرين، أو حكم بما تزين له نفسه، أو حكم كما يأمره الحاكم الظالم؟

الجواب: إن المظلوم سيقع عليه أضعاف ما وقع عليه من الظلم حسب درجة ظلم الحاكم والقاضى، فبدلا من أن يسترد حقوقه يقع عليه عقاب من سلبه منه، أى عدل فى المجتمع بعد ظلم المظلوم؟ سيزداد الظالم والمعتدى والجائر فى ظلمهم، خاصة إذا ساندهم أصحاب الأمر والقرار والحكام والمشرعون.

لقد وصفهم الله عز وجل بثلاث صفات، وهى: الكفر والظلم والفسق، يقول تعالى فى سورة المائدة:

- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].
- ولا تقبل صلاتهم وعذابهم النار يوم القيامة.

يقول ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله»** [رواه الحاكم عن طلحة بن عبيد الله](١).

ويقول ﷺ: **«القضاة ثلاثة: قاضٍ فى الجنة وقاضيان فى النار، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمدًا فهو فى النار، وقاضٍ قضى بغير علم فهو فى النار»**. قالوا: فما ذنب الذى يجهل؟ قال: **«ذنبه ألا يكون قاضيًا حتى يعلم»**(٢).

وقال ﷺ: **«من جعل قاضيًا، فقد ذبح بغير سكين»**(٣).

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٤/٨٩)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وتعقبه الذهبى: «قلت: سنده مظلم، وفيه عبد الله بن محمد العدوى متهم».

(٢) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧٣)، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٢)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣١٥)، وصححه الألبانى.

(٣) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧١)، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٥)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣٠٨)، وصححه الألبانى.

الخيانة:

قد يخون المرء الله، وقد يخون الرسول ﷺ، وقد يخون الأمانات التى وكل بحفظها، وقد يخون الناس، إنما فى كل الأحوال، فإنه على علم بما يصنع.

يقول الله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال].

والأمانة قد تكون كلمة أسر بها صاحب لصاحبه فيخونه بإفشائها، وقد تكون وعدًا بين فريق أو جماعة، وبعضهم يلتزمون بأدائه، فيخون البعض أو أحده الجماعة، ويخلف هذا الوعد والعهد، وقد تكون الأمانة وصية يوصى بها أحد الوالدين أولاده فيخفيها عن الناس، ولا ينفذها كما أمره به أحد والديه، وقد تكون عملًا أو ظيفة يجب أن يؤديها الفرد على شكل معين وفى وقت معين، فيقصر فى أدائها أو يعطلها، وقد تكون شيئًا ماديًّا كالمال أو حاجيات خاصة يضعها صديق عند صديقه، ويطلب منه حفظها فيفرط فى أمانته، فيأخذ منها أو يضيعها بحجة أنه صديقه أو أخوه، وفى جميع الأحوال فإن الله لا يهدى الخائنين، يقول الله تعالى فى سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف].

وقد وصفهم الرسول ﷺ بالنفاق وبعدم الإيمان، يقول ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»** [رواه البخارى ومسلم، من حديث أبى هريرة][(١)] يقول ﷺ: **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**[(٢)].

وخيانة البعض لنا ليس سببًا أو ذريعة لخيانتهم، أو مقابلة الخيانة بالمثل، وهذه أخلاق الإسلام، يقول ﷺ: **«أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»** [(٣)].

وقال ﷺ: **«إياكم والخيانة؛ فإنها بئست البطانة»**[(٤)].

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣٣)، ومسلم فى الإيمان (١٠٧/٥٩).

(٢) أحمد (١٣٥/٣)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠١/١): «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط، وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائى وغيره»، وابن حبان فى الموارد (٤٧).

(٣) أبو داود فى البيوع (٣٥٣٤)، والترمذى فى البيوع (١٢٦٤)، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألبانى.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى (٢٣٨/٥) وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن مليحة وهو ضعيف».

مسائل فى الخيانة:

أمى دائمًا لا تصدقنى وتسىء الظن بى، ولكنى لا أحس أننى على خطأ، فما العيب فى الحديث مع زميلى فى الهاتف المحمول فى حجرت؟!.

وما العيب فى أن يوصلنى زميلى بسيارته مع باقى الزملاء إلى البيت، هل هذا أفضل أم التاكسى أم الأتوبيس؟!

وما العيب فى أن أقف لأتناقش مع زميلى فى أمور الدراسة أو العمل؟!

نعم لقد أمرتنى أمى أن أمتنع عن الحديث فى الهاتف مع شباب أو أى زميل، وأن يكون هناك تحفظ وغض بصر فى التعامل معهم، وأن أتحدث بأدب وصوت منخفض، ولا أضحك بصوت عالٍ، أنا أعلم أن الأعمال بالنيات، وأن نيتى سليمة جدًّا، وأن الناس كلهم يفكرون مثلى، أما طريقة تفكير والدتى فأحس أنها طريقتها هى فقط.

فقدت الثقة بينى وبينها، ونسيت أن طاعة أمى فى غيابها أمانة، ويجب أن أحفظ كلماتها، وأضلنى هواى على علم ولم يكن الله معى؛ لأننى خنت أمى وكذبت عليها وكانت العاقبة سيئة بكل المقاييس، ففازت أخواتى ببر أمى وطاعتها وفقدتها، وامتنع زميلى عن التقدم لخطبتى؛ لأنه علم أننى أتحدث مع غيره فى الهاتف، واعتبرها خلوة غير شرعية، ازداد توترى وندمى وأسفى على خيانتى لأحق الناس بالبر، وهى أمى.

- كلما تحدثت مع صديقاتى فى الهاتف لا مفر من ذكر أخبار صديقاتى وأحوالهن، فتضيع الأمانات وتتناثر بين البنات، ونسينا أنها أمانة الكلمة، فضاع الارتباط والأخوة والصداقة، ولم يبق أحد يخاف على الآخر، ولم يبق سر يمكن أن يحفظ ولا يخاف عليه من الانتشار، فلا أخوة فى الله ولا اعتصام بحبل الله، ولا نصر على الأعداء بدون حفظ الأمانة.

الغدر وعدم الوفاء:

عدم الوفاء بالعهد والوعد بين الناس يفقد الثقة بينهم، ويشيع الحروب والقطيعة والخصومة، ويضيع كثيرًا من حقوق الناس على بعضهم البعض، ويعتبرها الإسلام مسئولية على كل من شارك فيها، سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم، ذكرًا أو أنثى، غنيًّا أو فقيرًا، حاكمًا أو محكومًا، والمتتبع لعلاقة الإسلام باليهود، يجد أن أسباب الحروب التى قامت بين المسلمين

واليهود كانت بسبب نقض اليهود للعهود، وهى صفة دائمة أبدية فيهم، وهم يستخدمون العهود لتحقيق مصالحهم حتى إذا وجدوا أن مصلحتهم فى غير ذلك، نقضوا العهد بلا حرج أو تأنيب ضمير، أما الإسلام فيلزم المسلم بالحفاظ على العهد والوعد.

يقول الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء:٣٤].

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة:١].

ويصفهم الرسول ﷺ بالنفاق، قال ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** [أخرجه البخارى، من حديث عبد الله بن عمرو](١).

وهذه بعض الآثار السلبية للغدر:

- التوترات النفسية للطرفين؛ الغادر والواقع عليه الغدر.
- فقد الثقة بين المسلمين وبعضهم الواقعين فى هذا الذنب.
- تشويه صورة الإسلام والمسلمين فى حالة نقض العهد مع غير المسلمين.
- عدم الاحترام وفقد التبجيل والتوقير بين الأطراف الغادرة.
- قيام كثير من المشاحنات والمشاجرات بين الأطراف الناقضة للعهود والمواثيق.

البغى:

هو ظلم الناس لبعضهم البعض، وغالبًا ما يكون من الأقوى أو الأكبر أو الأغنى أو صاحب المنصب أو صاحب النعمة، ويقع على الأضعف أو الأصغر أو الفقير أو العامل أو الموظف أو المبتلى، يقول الله تعالى فى سورة الشورى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى:٤٢].

وقال ﷺ: **«إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا، حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»** [رواه مسلم، من حديث عياض بن حمار](٢).

وهذا الحديث وضع علاجًا للبغى والظلم، وهو التواضع بين الناس وبعضهم.

وحذر الرسول ﷺ من البغى، وأن عقوبته يعجل الله له بها فى الدنيا، يقول ﷺ: **«ما**

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣٤)، ومسلم فى الإيمان (١٠٦/٥٨).

(٢) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٦٤/٢٨٦٥).

من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»[(١)].

فإذا سرق الغنى من الفقير، لا يستطيع الفقير أن يقاضيه؛ فمن يصدقه؟ «ابن الشريف يسرق من الفقير؟!».

وإذا طرد صاحب العمل العامل من عمله ظلمًا، لا يستطيع العامل أخذ حقه منه، وإذا استأثر صاحب المنصب بالمناصب الكبيرة لنفسه وأقاربه، وحرم غيره من المستحقين الأكفاء، فمن يستطيع أن يمنعه؟، لذلك فإن الله المنتقم الجبار يعجل له العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من عذاب.

ومن الآثار السلبية للبغى:

- عدم الإحساس بالأمن والأمان؛ فالقوى يضر الضعيف.
- سيطرة فئة قليلة على ثروات البلاد وخيراتها لصالح أنفسهم.
- انتشار الحقد والكراهية، وكثرة دعاء المظلوم على الظالم.
- عدم التطور والتنمية؛ بسبب سيطرة أصحاب النفوذ وحرمان الأكفاء من العمل.
- ضياع كثير من الحقوق، وعدم تطبيق القوانين الشرعية، وانتشار القوانين الوضعية الظالمة.

أذى الناس:

هو إلحاق الأذى والسوء بالغير عن عمد، والإصرار عليه، وقد يؤذى المرء جاره، وقد يؤذى المسلمين، وقد يؤذى عباد الله.

وقد نفى الرسول ﷺ صفة الإيمان عمن يلحق الأذى بجاره، يقول ﷺ: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **«من لا يأمن جاره بوائقه»** [رواه البخارى، من حديث أبى هريرة][(٢)].

وقد سئل الرسول ﷺ عن أعظم الذنب عند الله، فذكر ثلاث خلال: **«أن تجعل لله ندًّا**

(١) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٢)، والترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١١)، وقال: «حسن صحيح».
(٢) البخارى فى الأدب (٦٠١٦).

وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، وأن تزنى بحليلة جارك» [رواه البخارى، من حديث عبد الله بن مسعود](١).

والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب، له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وجار مسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر، له حق الجوار.

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا له جار يهودى، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها.

أما أذى المسلمين، فقد عظم الله تعالى فى كتابه الكريم أذى المؤمنين والمؤمنات، يقول تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب].

وقد يكون هذا الأذى مجرد سخرية أو استهزاء، أو ندائه بلقب لا يحبه، أو تقليده بما لا يرضيه، أو التجسس عليه، أو اغتيابه بقول ما لا يرضيه فى غيابه حتى إن كان حقًّا.

يقول تعالى فى سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحُجُرات]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وجعل الإسلام أشر الناس يوم القيامة الفاحش فى القول.

يقول الرسول ﷺ: **«إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من ودعه الناس، وتركه الناس اتقاء فحشه»** [متفق عليه، من حديث عائشة](٢).

ويحرم الإسلام أذى المسلم فى دمه وماله وعرضه، ففى الحديث،قال ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»** [رواه مسلم، من حديث لأبى هريرة](٣).

وقال ﷺ: **«المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»** [رواه مسلم، عن أبى هريرة](٤).

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٤٧٧).

(٢) البخارى فى الأدب (٦٠٥٤)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٩١).

(٣) مسلم فى البر والصلة والآداب (٣٢/٢٥٦٤).

(٤) مسلم فى البر والصلة والآداب (٣٢/٢٥٦٤).

وقال ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»** [متفق عليه، من حديث أبى هريرة][(١)].

ويضيع أذى الناس الأعمال والطاعات، حتى يكون عاقبة الإنسان النار، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل يا رسول الله: إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال ﷺ: **«لا خير فيها هى فى النار»** [صححه الحاكم وابن حبان وأحمد][(٢)].

وحتى المسلم إذا مات، فلا يحق لأحد أن يذكره بسوء، قال ﷺ: **«اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم»**[(٣)].

وصح عن الرسول ﷺ أنه قال: **«لا يدخل الجنة نمام»** [متفق عليه، من حديث حذيفة][(٤)]، والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس؛ من أجل الإفساد بينهم.

والمسلم لا يؤذى الناس حتى فى طريقة الحديث، ويأمرنا الله تعالى فى سورة العنكبوت بعدم الجدال إلا بالتى هى أحسن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] وقال تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون:٦].

فهذا الإسلام قد رفع من قدر المسلمين جميعًا، عندما نزع عنهم أذى الناس جميعًا، سواء أكانوا مسلمين، أو من أهل الكتاب، أو كفارًا.

***

(١) البخارى فى الفتن (٧٠٧٦)، ومسلم فى الإيمان (١١٦/٦٤).

(٢) الحاكم فى المستدرك (١٦٦/٤)، وصححه، ووافقه الذهبى.

(٣) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٠)، والترمذى فى الجنائز (١٠١٩) وقال: «غريب»، وضعفه الألبانى.

(٤) البخارى فى الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم فى الإيمان (١٦٨/١٠٥).